الأنفسية حقيقة ثابتة*

سورين كيركيغارد

إن هذا النص مقتبس من كتاب حاشية غير علمية[1]، بقلم مؤسس الوجودية الفيلسوف الدنماركي سورين كيركيغارد (1813 - 1855). يقدم لنا كيركيغارد رؤية متطرّفة عن الإيمانية[2]، إذ لا يعتبر الإيمان أمرا يفوق العقل فحسب، بل ويخالفه بمعنى من المعاني أيضا. إن الإيمان ــ وليس التعقل ــ هو أسمى فضيلة يمكن للمرء أن ينالها. وإن الإيمان شرط ضروري للكمال الإنساني بالمعنى العميق والدقيق للكلمة. فمن وجهة نظر كيركيغارد إن الذي يسعى إلى إقامة إيمانه الديني على أساس من الأدلة والشواهد العينية أو التعقل، يكون قد ارتكب خطأ جوهريا. فإن هذه العملية غير مجدية "ولن تكون منتجة أو مثمرة"، كما أنها غير مطلوبة "بمعنى أنها تمنع الفرد من العمل على طبق تكليفه ومسؤوليته في رفع مستوى إيمانه". ثم قدم نظرية فيما يتعلق بالأنفسية التي يكون للإيمان فيها مكانة أصيلة. وحتى إذا كان لدينا برهان قاطع لصالح الإيمان بالله أو المسيحية، لما

---

* - النص "ترجمه للفارسية: مصطفى ملكيان. و للعربية: حسن الهاشمي" من كتاب:
Pojman, Louis P.(ed), Philosophy of Religion: An Anthology, (California: Wadsworth Publishing Company, 1987).P 399 - 408.
مصطلح "الأنفسية" مقابل "الآفاقية"، استلهمه مترجم النص الى الفارسية. المصطلح كما يبدو مستلهم من الآية القرآنية" "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق".

1 - Concluding Unscientific Postscript.

2 - (fideism): الاعتماد على الإيمان بدلاً من العقل. المعرّب.

طالبنا بإقامته؛ لأن مثل هذا اليقين العيني سوف يخرج هذا الأمر الخطير عن المسار والسلوك الديني، ويتنزل به إلى مجموعة من الأمور اليقينية الرياضية المملة.

إن المسألة التي نروم البحث بشأنها ليست هي حقيقة[3] المسيحية، بل علاقة[4] الفرد[5] بالمسيحية. لا يكمن بحثنا حول الحرص والشغف الممنهج من قبل المحققين إلى تنظيم حقائق المسيحية في إطار المقولات المرتبة والمنظمة، بل يكمن في الارتباط[6] الشخصي للفرد بهذا الدين، وهو الارتباط الذي يحدث لدى الفرد انجذابا لا أمد لنهايته. وبعبارة أوضح: "إنني أنا يوهانس كليماكوس[7]، المولود في هذه المدينة، ولي الآن من العمر ثلاثون سنة، أتمتع مثل الكثير من الناس بالاحترام، وأتصور أنني موعود بخير أسمى يدعى بالسعادة الأبدية، كما هو موعود به الخادم والأستاذ الجامعي. وقد سمعت بأن المسيحية وسيلة للوصول إلى ذلك الخير. ومن هنا فإنني أتساءل: كيف يمكن لي أن أقيم ارتباطا صحيحا بالمسيحية؟". إنني أصغي إلى إجابة المستنير عن هذا التساؤل بكل سمعي، وذلك حيث يقول: "يا له من متطفل بائس! ويا له من تبجح وغرور واضح أن يرى شخص لنفسه ــ في عصر التنوير الفلسفي واللاهوت المحوري الناظر إلى تاريخ العالم بأسره ــ مثل هذه القيمة الكبيرة والخطيرة".

ترتعد فرائصي عند سماعي لهذا التقريع، ولو أني لم أعتد هذا النوع من الإجابات، لكنت أخذت طريقي مجللا بالعار والخجل. لكنني لا ذنب لي في هذا الأمر أبدا، فلست أنا المتطفل، بل إن المسيحية هي التي تدعوني إلى هذا التساؤل؛ فإن المسيحية ترى أهمية كبيرة لشخصي المتواضع، بل لكل شخصية أخرى مهما بدت محتقرة، ومن هنا فإنها لا

---

3 - truth.

4 - relation.

5 - individual.

6 - relationship.

7 – يوهانس كليميكاوس (Johannes Climacus): اسم مستعار استعمله كيركيغارد في كتابين من كتبه الفلسفية، وهما: مقتطفات فلسفية، وتعليقة نهائية غير علمية.

تمنح السعادة الأبدية لكل شخص، إلا إذا تمكن من أن يقيم بينه وبين المسيحية ارتباطا صحيحا. وعلى الرغم من أنني "أنا" لا زلت أجنبيا عن الدين والإيمان، ولكنني أدرك أن الذنب الوحيد الذي لا يغتفر فيما يتعلق بجلال قدر المسيحية هو أن الفرد يرى ارتباطه بهذا الدين قطعيا. وإن شعور المرء بارتباطه بالمسيحية بهذه الطريقة ــ مهما بدا متواضعا ــ تعتبره المسيحية ساذجا وغير مدروس. وعليه يجب علي أن أصد ــ بكل أدب ــ جميع المتطوعين اللاهوتيين وأتباعهم الذين يرومون مساعدتي من خلال إقامة ارتباط أجوف بهذا الدين. وأفضل البقاء حيث أنا، مع كل ما أعانيه من هم وقلق[8] مطلق وغير محدود[9] بشأن حياتي الروحية والمعنوية، وأنا أصارع السؤال القائل: كيف يمكنني أن أكون مسيحيا؟ وذلك لأنه على الرغم من القلق اللامتناهي الذي يستولي على المرء بشأن سعادته الأبدية، فإن حصول النجاة ليس مستحيلا، إلا أن حصول مثل هذا الأمر بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي فقد حساسيته تجاه هذا الارتباط بالمرة مستحيل بشكل كامل.

إن المسألة التي تثيرها الآفاقية هي: هل المسيحية على حق؟ وإن المسألة التي تثيرها الأنفسية[10] هي: ما هو ارتباط الفرد بالمسيحية؟ وبعبارة شديدة الوضوح: كيف يتأتى لي

---

8 - concern.

9 - infinite.

10 - لقد لجأ المترجم بأزاء كل من المفردات الآتية: (objective) و(objectivity) و(objectively) إلى المفردات الآتية بالترتيب: (الآفاقية)، و(كون الشيء آفاقيا)، و(بشكل آفاقي). وبأزاء كل من المفردات الآتية: (subjective) و(subjectivity) و(subjectively) إلى المفردات الآتية بالترتيب: (الأنفسية)، و(كون الشيء أنفسيا)، و(بشكل أنفسي) وعلى الرغم من اعتبارها أنها أفضل ما يمكن اللجوء إليه في بيان معاني الكلمات الإنجليزية، ولكنه لم يرض عن هذا الاختيار تمام الرضى. ولكن نضيف على ما قاله المترجم: إن مفردة (objective) تعني الموضوعي وغير الذاتي، والمجرد عن الغرض او الانحياز، وإن الـ(objectivism) تعني مذهب الموضوعانية، وهي نظرية تؤكد على الحقيقة الموضوعية وبخاصة بوصفها متميزة من الخبرة الذاتية، كما هي نظرية أخلاقية تقول بأن الخير حقيقي على نحو موضوعي، وبالتالي فإن الـ(objectivity) تعني الموضوعية والمدركية، أي: كون الشيء موضوعياً أو مدركا بالحواس. وأما كلمة (subjective) فهي بعكسها

أنا "يوهانس كليماكوس" أن أحصل على حظي من السعادة التي وعدتني بها المسيحية؟ إن هذه المسألة مدعاة قلق بالنسبة لي أنا فقط، ولهذا السبب فإنها إلى حد ما إذا تم طرحها بشكل صحيح فإنها بهذا الأسلوب بالتحديد ستكون مدعاة قلق بالنسبة إلى الجميع، وإلى حد ما فإنه لهذا السبب أيضا تعمد جميع الآراء الأخرى إلى اعتبار الدين والإيمان أمرا مسلما ويتساهلون في ذلك. ولكي أسلط الضوء على مسألتي يجب علي أولا أن أشرح المسألة الآفاقية لأبين كيف ينبغي الخوض فيها والتعاطي معها، وبذلك سيتم الوفاء بحق البعد التاريخي للمسألة، لأنتقل بعد ذلك إلى شرح المسألة الأنفسية.

الآفاقية حقيقة المسيحية:

من وجهة النظر الآفاقية تعد المسيحية أمرا واقعا على المستوى التاريخي، ويجب البحث في حقيقتها بأسلوب آفاقي خالص؛ لأن المحقق المتواضع أكثر آفاقية من أن لا يضع نفسه جانبا، رغم أنه من الممكن في الواقع أن يعتبر نفسه مؤمنا. وإن "الحقيقة" بهذا المعنى الآفاقي قد تكون بمعنى: "الحقيقة التاريخية"، أو بمعنى "الحقيقة الفلسفية". وإن ادعاء الحقيقة ـ إذا كان المراد منها الحقيقة التاريخية ـ يجب التعاطي معه كما نتعاطى مع سائر الدعاوى التاريخية وأن نبين صحتها وسقمها بشكل دقيق بعد وضع مختلف مصادرها تحت مجهر النقد والتمحيص. ومن ثم فإن الدين الذي خضع للبحث التاريخي، يجب أن يرتبط من الناحية الفلسفية بالحقيقة السرمدية.

إن الباحث المتطلع وذا النزعة الفلسفية والعالم يعمد إلى طرح مسألة الحقيقة، ولكن ليست هي الحقيقة الأنفسية ــ بمعنى حقيقته الخاصة ــ إن الباحث المتطلع مولع[11]، ولعله[12] ليس من النوع المفرط والمطلق والشخصي والمتحمس[13]، بحيث يربط سعادته

تماما إذ تعني الذاتي وغير الموضوعي، وإن كلمة (subjectivism) تعني الذاتانية وهو مذهب فلسفي يقيم المعرفة كلها على أساس الخبرة الذاتية. المعرب.

11 - interested.

12 - interest.

الأبدية بهذه الحقيقة. وحاشا الباحث الآفاقي أن يكون على هذا المستوى من التكبر والتطفل! إن مثل هذا الباحث لا يخرج من إحدى حالتين: فإما أن يعتقد بحقيقة المسيحية تعبدا، وفي مثل هذه الحالة لا يمكن أن يكون لديه تعلق مطلق وبلا حدود بالبحث الآفاقي؛ لأن الإيمان نفسه عبارة عن قلق بلا حد أو حصر تجاه المسيحية، ويعتبر كل تعلق منافس نوعا من الإغواء والوسوسة. وإما أن لا ينظر إلى الموضوع من زاوية التعبد، بل يعمد إلى بحثه بأسلوب آفاقي، وفي مثل هذه الحالة لا يكون في وضع يسمح له بأن يكون له تعلق بلا حد أو حصر بالمسألة. والغاية من ذكر هذا الأمر هو أن ألفت انتباهكم إلى مسألة سوف أتناولها في القسم الثاني من هذه المقالة بتفصيل أكثر، وهي أن حقيقة المسيحية لم يتم بيانها على هذا الأسلوب الآفاقي بشكل صحيح، بل إنها لم تبين أبدا؛ وذلك لأن المسيحية مرتبطة بالعزم والقرار[14]. دع الباحث الجامعي منشغلا بولعه وحماسه المطلق، وأن يوصل الليل بالنهار في خدمة الجامعة صادقا. ودع الفيلسوف المنظر أن لا يبخل بقوته وطاقته في ممارسة التنظير. فهؤلاء أيضا لا يمتلكون قلقا شخصيا وحماسيا بإزاء هذا الأمر الهام. بل لا يريدون أن يكون لهم مثل هذا الهم والقلق، وإنما يريدون أن يكون مجهودهم مثالا للعمل الآفاقي البعيد عن مكامن القلق. وإنما يكمن القلق عندهم بشأن الحقيقة الآفاقية، بحيث أن امتلاكهم لحقيقة على المستوى الشخصي يعتبر من وجهة نظرهم شيئا لا أهمية لهم نسبيا، وهو الشيء الذي يأتي عادة بعد اكتشافاتهم. وفي التحليل الحاسم فإن ما يبدو هاما عند سائر الناس، لا تكون له أي قيمة عندهم. وإن الهدوء الكبير لدى المحققين وكوميديا التفاخر الببغائي عندهم ينشأ تماما من هذا الواقع.

الرؤية التاريخية:

عندما تبحث المسيحية من خلال المستندات والوثائق التاريخية، يغدو الحصول على المعلومات الموثوقة بشأن الماهية الحقيقية للدين المسيحي ضروريا. وإذا كان لدى

13 - passionate.

14 - decision.

الباحث قلق مطلق وبلا حدود تجاه ارتباطه بهذه الحقيقة سيشعر بالإحباط مباشرة؛ إذ من الواضح جدا أن أكثر الأمور يقينا[15] ستصبح ـ إذا تعلقت بالأمور التاريخية ـ مسألة لا تتجاوز الاحتمال والتكهن[16]، وإن الاحتمال والتكهن أوهن من أن يتمكن شخص من أن يقيم سعادته الأبدية عليه؛ وذلك لأن عدم تناسبه مع السعادة الأبدية هو الذي يحول دون حصول هذه السعادة. من هنا فإن المحقق الذي يمتلك مجرد تعلق تاريخي بحقيقة المسيحية، سيبدأ عمله بحماسة ولهفة شديدتين؛ ليقدم دراسات هامة طوال حياته، حتى إذا بلغ سبعين سنة من عمره، ولم يبق من حياته سوى أسبوعين سيعثر على وثيقة ومستند جديد يلقي ضوءا شاملا على جميع أعماله البحثية! إن مثل هذه الشخصية الآفاقية تقع في الطرف المواجه للقلق والاضطراب لدى فاعل الكشف[17] الذي يمتلك تعلقا لا حصر له ولا حد بالنسبة إلى السعادة الأبدية، ومن حقه ـ قطعا ـ أن يحصل على جواب حاسم عن السؤال المرتبط بهذه السعادة.

عندما تطرح مسألة تاريخية الحقيقة المسيحية أو هذه المسألة التاريخية المتسائلة عن حقيقة وماهية المسيحية، سوف نتعاطى تلقائيا مع النصوص المقدسة بوصفها وثائق ومستندات رئيسة وأصيلة. وإن البحوث التاريخية ـ قبل كل شيء ـ تتعاطى مع الكتاب المقدس.

النصوص المقدسة:

من الهام جدا بالنسبة إلى المحقق فيما يتعلق بعمله أن يصل إلى أكبر نسبة ممكنة من الوثوق والاطمئنان. ومن الهام بالنسبة لي أن لا أتظاهر بأنني أعلم شيئا، أو أن لا أتظاهر بأنني لا أعلم شيئا؛ لأن الغاية التي أنشدها هنا تفوق ذلك في الأهمية، فإن غايتي هي أن أعمل على التفهيم والتذكير بأننا حتى إذا بذلنا كل إمكاناتنا وجهودنا العلمية والتحقيقية،

15 - certainty.
16 - approximation.
17 - subject.

وحتى إذا جمعنا كل ذكاء وفطنة جميع المدققين في جمجمة واحدة، لن نحصل من جهودنا على أكثر من الاحتمال والتخمين. ولا نستطيع أبدا أن نثبت أكثر من وجود عدم تناسب بين القلق الشخصي المطلق والذي لا حد له ولا حصر فيما يتعلق بالسعادة الأبدية، وبين حجم الوثوق والاطمئنان بالمستندات والوثائق.

عندما نحكّم النصوص المقدسة في تحديد ما هو مسيحي وما هو غير مسيحي، يغدو من الضروري أن نحصل على اطمئنان من وثاقة هذه النصوص من خلال القيام بعمل تحقيقي تاريخي ودقيق. من هنا يجب علينا أن نتعرض فيما يلي إلى عدة أمور، وهي: شرعية كل واحد من كتب الكتاب المقدس، وصحة سندها واعتبارها، وتماميتها، ووثاقة مصنفيها، وبالتالي يجب أن نؤمن بضمانة قطعية أي الوحي والإلهام الإلهي. فلو أن شخصا أخذ بنظر اعتباره الجهود الجبارة التي بذلها الإنجليز في حفر نفق يمر من أسفل نهر التايمز[18]، والوقت والطاقة المذهلة التي بذلوها، وأنه كيف يمكن لحادثة صغيرة أن تعرقل كل المشروع لفترة مديدة، قد يستطيع تصور عقبات ومشاكل العمل الذي نشتغل بوصفه وشرحه. ما هو مقدار الوقت والجهد والذكاء الفذ والعلم الذي كان يجب توفره عبر الأجيال ليمكن إنجاز هذا العمل المعجز؟! وعلى الرغم من ذلك يمكن لشك منطقي بسيط أن يزعزع أركان العمل دفعة واحدة، وأن يقوّض كل المشروع ويعرقله لفترة طويلة، ويردم نفق المسيحية، وهو الطريق الذي بدلا من الإقبال على المسألة كما ينبغي ويجب، أي فوق الأرض وبأسلوب أنفسي سعوا إلى إحداثه بأسلوب آفاقي وعلمي.

ولكن لنفترض قبل كل شيء أن الناقدين قد أثبتوا كل ما كان العلماء والمدققون والمحققون في اللاهوت يحلمون بإثباته فيما يتعلق بالكتاب المقدس في أسعد لحظات حياتهم، بمعنى أن نفترض أن هذه الكتب وحدها هي الشرعية، والتي تمتلك الاعتبار والوثاقة، وأنها كاملة، وأن مؤلفيها معتمدون وموثوقون، وكأن كلمات هذه الكتب بحذافيرها وحي من الله "ولا يمكن قول المزيد؛ لأن الوحي أمر تعبدي، وذو كيفية

18 - Thames.

جدلية، ولا يمكن تحصيله من خلال التقدم الكمي". وعلاوة على ذلك لا يوجد أدنى تناقض في هذه النصوص المقدسة. يجب أن ندقق في تدوين فرضيتنا؛ فلو بقيت حتى كلمة واحدة موضع شك وشبهة، لا نصل الى اليقين[19]، وإن التحليل اللغوي والنصي الناقد سيفضي بنا إلى الضلال. وبشكل عام فإن كل ما نحتاج إليه لكي يستحثنا على المناقشة في مكتسباتنا هو القليل من التأني والاحتياط، من قبيل رفض حد وسط مألوف ومعهود يمكنه أن يتحول برمشة عين إلى جمود يستمر لمئة سنة.

وبذلك فقد افترضنا أنه كل ما تفاءلنا به فيما يتعلق بالنصوص المقدسة، وعقدنا الأمل عليه، يسعدنا أن يتم إثباته بشكل أكيد. ولكن بالتالي ما هي الثمرة التي يمكن لنا أن نحصل عليها ونقتطفها من وراء ذلك؟ فهل أدى ذلك بشخص لم يكن آمنا سابقا إلى أن يتقدم خطوة نحو الإيمان؟ بالطبع لا، فإنه بذلك لا يقترب من الإيمان حتى بمقدار شبر. لأن الإيمان لا يأتي من خلال البحوث النظرية. الإيمان أساسا لا يحصل بهذه السرعة والسهولة، بل هو على العكس من ذلك، حيث يزول القلق الشخصي الحماسي الذي لا حصر ولا حد له ــ الذي هو الشرط الضروري في الإيمان، والذي يمثل جزءه الذي لا ينفك، والذي ينبثق الإيمان من صلبه ــ من خلال التحليل الآفاقي.

وهل الذي كان مؤمنا قد ازداد إيمانه خردلة من خلال هذه الفرضية؟ كلا أبدا، بل الأمر على العكس، فإن العلم الكثير يقف على عتبة الإيمان، مثل التنين المرعب الذي يهدد بالتهامه، ويتحول إلى نقطة ضعف، ويستحث الفرد بأن يزيد من العمل مشبعا بالخوف كي لا يقع فريسة الوسوسة والإغواء، ولا يخلط بين العلم والإيمان. وبالنظر إلى أن الإيمان يرى في انعدام اليقين معلما ناجعا بالنسبة له، بدأ الآن يدرك أن اليقين من أشد أعدائه خطورة عليه. أبعدوا الانفعال[20] عن أنفسكم: إن الإيمان يختفي في لحظة؛ وذلك لأن اليقين والانفعال متخاصمان. ولأعمل على إيضاح هذه النقطة من خلا التمثيل الآتي:

19- uncertainty.

20 - passion.

إن الذي يؤمن بأن الله موجود، وأنه يحكم العالم وفقا لمشيئته ــ في عالم ناقص ولكن يغمره الانفعال، أسهل من العالم الكامل بشكل مطلق ــ يستطيع الحفاظ على إيمانه (دون توهمه)؛ لأن الإيمان لا يمكن تصوره في مثل هذا العالم المثالي. لذلك فقد تم تعليمنا بأن الإيمان سوف يزول بعد الموت.

وفيما يلي لنفترض خلاف الحالة السابقة؛ بمعنى أن نفترض بأن المخالفين قد نجحوا في إثبات ما كانوا يرومون إثباته بشأن الكتاب المقدس، من خلال يقين يتجاوز الأمل والتفاؤل الواهي. فما الذي سوف يحصل في مثل هذه الحالة؟ هل قضى هذا الافتراض على أعداء المسيحية؟ كلا على الإطلاق. وهل أوجد هذا الحق في أن يكون متحررا من مسؤولية الإيمان؟ كلا أبدا. وإن مجرد أن هذه الكتب لم تكتب بقلم هؤلاء المؤلفين، وأنها لا تتمتع بموثوقية واعتبار، وكونها ناقصة، وأنها لا تبدو من الوحي "وإن كنا لا نستطيع البرهنة على هذه الفقرة الأخيرة؛ لكونها أمرا تعبديا"، لا يعطي أي نتيجة بعدم وجود هؤلاء المؤلفين، بل والأهم من ذلك أنها لا تنتج أن السيد المسيح لم يكن موجودا إطلاقا. فما دام الإيمان باقيا، فإن المؤمن حر في قبوله "حر بشكل كامل". لأنه إن كان قد آمن على أساس الوثائق والمستندات، فهو الآن يقف على عتبة التخلي عن إيمانه. وإذا بلغ الأمر هذا الحد وجب تقريع المؤمن إلى حد ما. لأنه هو الذي أسس لهذا الأسلوب، وقد سعى في اتجاه إثبات القضايا الإيمانية إلى عمل انتهى لصالح الكفر والإلحاد.

لب الكلام هنا، وأنا أعود إلى اللاهوت النظري. لمن تسعون إلى تحصيل البرهان؟ فإن الإيمان لا يحتاج إلى برهنة واستدلال. أجل يجب على الإيمان أن يعتبر البرهان من ألد أعدائه وخصومه. ولكن عندما يشعر الإيمان بالخجل والاستحياء شيئا فشيئا، وعندما يغدو مثل غادة لم يعد الهوى يرضيها، وتشعر في قرارة نفسها بالخجل من أن فلانا يحبها، لذلك تحتاج إلى تأييد الآخرين وشهادتهم بأن الذي يحبها شخصية فذة وعبقرية بشكل مذهل، وهكذا الأمر بالنسبة إلى الإيمان فإنه عندما يجنح إلى الهبوط والنقصان، ويفقد من حماسته تدريجيا، بحيث لا يعود من الصحيح تسميته إيمانا، عندها نحتاج إلى البرهان لكي يتوسط عند جناح الكفر كيما يراعي حرمته.

وعليه عندما يقع موضوع الإيمان موردا للبحث والتحقيق الآفاقي، فإنه سوف يستحيل على الفرد أن يتحمس للإيمان، فضلا عن أن تكون حماسته مقرونة بالقلق الذي ليس له حد أو حصر. إن القلق الذي لا حد له أو حصر بشأن الشيء الذي لا يعدو أن يكون ــ في منتهى مراتبه ــ سوى نوعا من التقريب والتكهن، يستبطن تناقضا ولذلك يكون مضحكا. وإذا عمدنا إلى الاحتفاظ بحماستنا رغم وجود الحالة المذكورة من التناقض المضحك، فسوف ينتهي بنا المطاف إلى الجمود والتخلف. من وجهة نظر الفرد الذي يتمتع بقلق حماسي لا حد له أو حصر، سوف تكون كل مسألة جانبية ترتبط بمادة قلقه النفسي أمرا بالغ القيمة والأهمية. لا يكمن الخطأ في هذه الحماسة التي ليس لها حد أو حصر، وإنما يكمن في أن متعلقها لا يعدو أن يكون نوعا من الظن والتقريب والتكهن.

بمجرد أن نسحب اليد عن الأنفسية ــ ومعها الحماسة الناشئة عن الأنفسية، ومع هذه الحماسة القلق الذي ليس له حد أو حصر ــ فإن اتخاذ القرار ــ سواء في هذه المسألة أو أي مسألة أخرى ـ سيغدو مستحيلا؛ وذلك لأن كل قرار حقيقي عبارة عن نشاط أنفسي. إن الذي يعد من أهل البصيرة "أي فاعل الرؤية الآفاقية" لا يشعر بأي حماسة لا حد لها أو حصر تجاه اتخاذ القرار، ولا يرى أي حاجة إلى الالتزام في أي موضع. هذا هو مكمن خطأ الآفاقية، وهذا هو مكمن الإشكال في تفكير هيجل الوسيط، بوصفه أسلوب العبور في المسار المتواصل، الذي لا يدوم فيه شيء، ولا يحسم الجدل فيه حول أمر إلى ما لا نهاية؛ لأن الحركة تعود إلى نفسها، وترجع ثانية. وأما ذات الحركة فهي مسألة وهمية، وإن الفلسفة ستدرك هذه الحقيقة فيما بعد. إن هذا الأسلوب ــ من وجهة النظر الآفاقية ــ يعطي نتائج كثيرة، ولكن ليس منها واحدة قطعية أو يقينية. ولا يمكن لنا أن نتوقع غير ذلك؛ لأن الجزمية جزء ذاتي من الأنفسية، وهي في الأصل جزء ذاتي من الحماسة، وإن الجزء الذاتي من الحماسة في حده الأعلى فرد يختزن قلقا مطلقا وغير متناه بشأن سعادته الأبدية. إن المسيحية روح، وإن الروح مسار استبطاني، وإن المسار الاستبطاني أنفسي، وإن الأنفسية في الأصل حماسة، والحماسة في أعلى مراتبها قلق لا حد له ولا حصر، يعتلج في نفس الشخص المتحمس تجاه سعادته الأبدية.

الصيرورة الأنفسية:

في الأسلوب الآفاقي ندرس موضوع البحث فقط، أما في الأسلوب الأنفسي فإننا ندرس فاعل التعريف والأنفسية، وبذلك تكون الأنفسية هي موضوع بحثنا تماما. علينا أن ندرك دائما أن المسألة الأنفسية ليست ناظرة إلى موضوع بحث آخر، وإنما هي ناظرة بشكل بحت إلى ذات الأنفسية. لأن المسألة ناظرة إلى قرار، وجميع القرارات مرتبطة بالأنفسية، ونتيجة لذلك لن يبقى من أثر للآفاقية؛ إذ ما أن تتحرر الأنفسية من قيود القرار الضيقة حتى تتحول المسألة لتغدو آفاقية إلى حد ما. وإذا كان الكتاب التمهيدي يترقب عملا آخر يجب الخوض فيه، ليمكن الحكم في باب الموضوع مورد البحث، وإذا كان النظام الفلسفي بحاجة بعد إلى فقرة أخرى، وإذا كان الخطيب لم يقم دليله الأخير، فإن القرار سيتم إرجاؤه. نحن لا نطرح مسألة حقيقة المسيحية بهذا المعنى، بحيث عندما يتم البت فيها تكون الأنفسية معدة للتقبل بشكل كامل. بل المسألة ناظرة إلى أن فاعل التعريف يجب أن يتقبل حقيقة المسيحية، ويجب اعتبار هذا الأمر تمويه شرير أو تجاهل مخادع، بأن يروم شخص تجنب اتخاذ القرار من خلال البحث الآفاقي بشأن موضوع البحث، وأن يؤمن بأن الالتزام الأنفسي ينبثق من رحم التفكير الآفاقي. بل الأمر على العكس من ذلك، فإن القرار مرتبط بالأنفسية، وإن التشبث بالآفاقية إما أن يكون كفرا أو مفهوما خاليا من المعنى.

إن المسيحية تمنح السعادة الأبدية للفرد المنفرد، وهو خير لا يتجزأ، وإنما الشيء الوحيد الممكن هو أن تعطى في وقت لشخص واحد. على الرغم من أن فرضيتنا تقوم على أن الأنفسية في المتناول، ويمكن لكل شخص الحصول عليها. وهذا أمر محتمل وهو يستلزم الإيمان بهذا الخير ــ وإن الأنفسية بلا قيد أو شرط، دون الفهم الحقيقي ليست هي المفهوم من هذا الخير. وإن التطور أو التحول الأنفسي هو الاهتمام الذي توليه الأنفسية في ذاتها إلى السعادة الأبدية دون حد أو حصر. وهذا هو الخير الأعلى لانعدام الحد والحصر بالنسبة إلى السعادة الأبدية .هذا هو الأمر المحتمل الذي يمكن أن يحدث للأنفسية. إن المسيحية في ذاتها تعارض أي نوع من انواع الآفاقية، وإنما لديها مجرد قلق بلا حد أو

حصر بشأن الأنفسية. وإذا كان هناك في الأساس حقيقة مسيحية، فإن هذه الحقيقة سوف تتجلى أولا في الأنفسية، ولن تظهر وفقا للأسلوب الآفاقي أبدا. وإذا كانت حقيقة المسيحية إنما تحصل في شخص واحد فقط، فإن المسيحية عندها سوق تقرر في هذا الشخص فقط، وإن سكان العالم الأعلى سيبتهجون عند رؤيتهم لهذا الشخص أكثر من بهجتهم لكل تاريخ العالم، وإن الأنظمة الفلسفية.من حيث أنها عوامل آفاقيةــ ذات وجه مشترك مع الأغراض والمقاصد المسيحية.

إن الفلسفة تعلمنا بأن طريق الوصول إلى الحقيقة يتم عبر الآفاقية، في حين تعلمنا المسيحية بأن طريق الوصول إليها يتم عبر الأنفسية، بمعنى أن يتحول المرء حقيقة إلى فاعل للتعريف. ولكي لا يذهب الظن بالبعض إلى أننا نستغل الإبهام والإيهام، علينا التصريح بان هدف المسيحية هو أن تبلغ بشدة وحدة الحماسة إلى أقصاها، إلا أن الحماسة أنفسية، وليس لها أي وجود آفاقي.

الحقيقة الأنفسية، المسار الباطني؛ الحقيقة هي الأنفسية:

إن حقيقة الأمر العيني والخارجي في التفكير الآفاقي تغدو شيئا آفاقيا، وإن الفكر ينعطف نحو الخارج من خلال فاعل التعريف. وفي التفكير الأنفسي تكون مسألة الحقيقة هي مسألة الحيازة والتملك، ومسألة المسار الاستبطاني، ومسألة الأنفسية؛ وإن على التفكير ما أمكنه أن يرسخ في نفسه فاعل التعريف والأنفسية. فكما أن وجود الآفاقية في التفكير الآفاقي مساوق لاضمحلال الأنفسية وزوالها، كذلك الأمر هنا أيضا؛ حيث تعد أنفسية فاعل التعريف هي المرحلة الأخيرة، وبعدها تضمحل وتزول الآفاقية. وللحظة واحدة يجب أن لا ننسى أن فاعل التعريف شخص وجودي[21]، وإن الوجودية[22] هي نتاج

21 – (existing): الوجودية بالمعنى المراد لكيركيغارد هي: (تحقيق الذات عن طريق الاختيار الحر بين الموارد. وعليه فإن الوجودية تعني الجنوح نحو الصيرورة الفردية، والتحرر من الارتباط بالجماعة). وإن هذا المصطلح (مقولة خاصة بالإنسان، ولا يمكن استخدامها – مثلا – بالنسبة إلى الحجارة). كابلستون، فريدريك، تاريخ الفلسفة، المجلد السابع: من فيشتة إلى نيتشه، ترجمة: داريوش

الصيرورة، وعليه فإن تصور أن الحقيقة عبارة عن ذاتية الفكر والوجود[23] أمر وهمي وانتزاعي؛ لا بسبب عدم وجود حقيقة مثل هذه الذاتية، بل بسبب أن الشخص المعتقد فرد وجودي، وبالنسبة له ما دام موجودا[24] زمانيا، لا يمكن للحقيقة أن تكون مثل هذه الذاتية.

لو تمكن فاعل التعريف الوجودي من أن يتفوق على نفسه حقيقة، لكانت الحقيقة بالنسبة إليه شيئا كاملا، ولكن أين هو موضع هذا التفوق؟ إن 1 = 1 منزلة رياضية لا وجود لها، وما لم يتخذ شخص هذا الموقف، فإنه لا يقع في طريق شخص آخر. وإنما في لحظة واحدة يمكن لفاعل التعريف الوجودي أن يدرك الاتحاد بين الأمر اللامتناهي والأمر المتناهي الذي يفوق الوجود، ، وتلك اللحظة هي لحظة الحماسة. وفي الوقت الذي تكون الفلسفة الجوفاء الجديدة مستاءة من الحماسة، تعتبر هذه الحماسة بالنسبة إلى الفرد الذي له وجود زمني ذروة الوجودية. وفي أثناء الحماسة يحصل فاعل التعريف الوجودي[25] في أبدية الخيال على عدم التناهي، وفي الوقت نفسه يكون هو ذاته.

إن كل معرفة ذاتية[26] ترتبط بالوجود[27]، أو المعرفة التي لها ارتباط أو نسبة إلى الوجود فقط، هي في ذاتها معرفة ذاتية. وكل معرفة لا تكون وجودية، فإنها لا تستلزم التفكير الباطني[28]، وفي الحقيقة فإن المعرفة عرضية[29]، ولا أهمية ـ بحسب الذات ـ لمرتبتها وسعتها. إن هذه المعرفة الذاتية التي ترتبط بحسب الذات بالفرد الوجودي، لا

آشوري، الطبعة الأولى، شركت انتشارات علمي وفرهنكي وانتشارات سروش، طهران، 1367 ش، ص 326 و327.

22 - existence.

23 - being.

24 - being.

25 - existential.

26 - essential knowledge.

27 - existence.

28 - inward.

29 - accidental knowledge.

ينبغي اعتبارها مساوقة للذاتية الانتزاعية فيما يتعلق بالفكر الوجودي اللذين تقدم ذكرهما؛ بل بمعنى أن المعرفة يجب أن ترتبط بصاحب المعرفة[30] الذي هو بحسب الذات فرد وجودي. وعلى هذا الأساس فإن كل معرفة ذاتية لها ارتباط ونسبة بكل ما له وجود. بيد أن كل معرفة أخلاقية، أو أخلاقية ــ دينية تحتوي على هذا الارتباط الذاتي بالنسبة إلى صاحب المعرفة.

وفيما يلي لكي نوضح الفرق بين أسلوب التفكير الآفاقي وأسلوب التفكير الأنفسي، سنعمد إلى بيان كيفية عودة التفكير الأنفسي إلى المسار الباطني. فإن نهاية المسار الباطني في الفرد الوجودي تؤدي إلى الحماسة، لأن الحماسة مساوقة للحقيقة بوصفها مفارقة[31]؛ وإن منشأ حقيقة المفارقة هو نسبة الحقيقة إلى الفرد الوجودي. وإن أحدهما يساوق الآخر. ونحن من خلال الغفلة عن امتلاكنا لفاعل وجودي للتعريف، نضيع الحماسة، وعندها تزهد الحقيقة بالمفارقة، بيد أن فاعل التعريف وصاحب المعرفة يفتقد بالتدريج إنسانيته وذاته، ويتحول إلى شخص غير واقعي، وكذلك تغدو الحقيقة متعلقا وموضوعا[32] غير واقعي لهذا النوع من المعرفة.

عندما يتم طرح الحقيقة بشكل آفاقي يكون للتفكير بالحقيقة بوصفها أمرا عينيا خارجيا ويكون لصاحب الفكرة ارتباط ونسبة بها ــ توجه آفاقي. إن التفكير لا يكون في باب الارتباط، وإنما في باب ما إذا كان صاحب المعرفة لديه ارتباط ونسبة بالحقيقة أم لا. فإذا ما كان الذي ينتسب إليه ويرتبط به حقيقيا، كان فاعل المعرفة محاطا بالحقيقة. وعندما يتم طرح الحقيقة بشكل أنفسي، يكون للتفكير اتجاه أنفسي مرتبط بذات الفرد. وإذا كان كيفية النسبة محاطة بالحقيقة، كان الفرد محاطا بالحقيقة، حتى إذا لم يكن ذلك الشيء الذي يرتبط به الفرد أو ينتسب إليه حقيقيا.

---

30 - knower.

31 - paradox.

32 - object.

يمكن لنا أن نتصور هذه المسألة عبر دراسة معرفة الله. من خلال المنهج الآفاقي يكمن التفكير في ما إذا كان الأمر العيني الخارجي الذي هو متعلق التفكير هو الإله الحقيقي أم لا؟ ومن خلال المنهج الأنفسي، يكمن التفكير فيما إذا كان الفرد مرتبطا ومنتسبا إلى شيء، بحيث يكون ارتباطه به نوعا من الارتباط بالله أم لا؟ فالحق مع أي واحد من هذين المنهجين؟ يا ويلتاه! دعونا لا نشتط في الأمر تطرفا ونقول بأن الحق لا مع هذا ولا مع ذاك، وإنما الحق يقع في الوسط بين هذين المنهجين.

إن الفرد الوجودي الذي يختار النهج الآفاقي، يبدأ مسارا تقريبيا وظنيا بالكامل بحيث يزعم أنه يعمل على تصوير الله. ولكن هذا الأمر لا يمكن القيام به دائما وأبدا؛ لأن الله هو نفسه فاعل المعرفة، وعلى هذا الأساس لا يكون له وجود إلا في المسار الباطني للفرد الأنفسي. إن الفرد الوجودي الذي يختار النهج الأنفسي، يدرك فورا التعقيدات النظرية والمنطقية والفترة الزمنية .وربما الفترة الزمنية الطويلة.التي يجب استغراقها من أجل العثور على الله من خلال المنهج الآفاقي. إن مثل هذا الشخص يدرك التعقيدات النظرية والمنطقية بجميع ما تشتمل عليه من العنت والمعاناة؛ لأن كل لحظة تمر على الإنسان دون وجود الله هي لحظة ضائعة، وعليه فإن مسألة الارتباط والانتساب إلى الله هي على مثل هذا المستوى من الأهمية. وفي هذا النهج يكون الله قطعا مبدأ أساسيا[33]، ولكن لا بالمعنى المهلهل الذي يفسر به أصل الموضوع في الغالب. وهذا النهج هو النهج الوحيد الذي ينتسب فيه الفرد الوجودي إلى الله ويرتبط به. وذلك عندما يعمل التناقض النظري والمنطقي إلى سحب الحماسة باتجاه الإحباط واليأس، وتقدم العون للفرد الوجودي ليحتضن الله من خلال مقولة اليأس (الإيمان). وهنا لا يكون المبدأ الأساسي أمرا اعتباطيا أو غير إختياري، بل يغدو ضرورة تنقذ الحياة من خطر الانعدام والخواء، بحيث لا يعود مبدأً أساسيا بسيطا، بل على العكس، فإن افتراض الله من قبل الفرد الوجودي مسألة ضرورية.

33 - postulate.

فهل الحق إلى جانب ذلك الشخص الذي يبحث عن الله الحقيقي وفق المنهج الآفاقي، وينشد الحقيقة التقريبية والظنية، أم إلى جانب الشخص الذي يختزن قلقا لا حد له ولا حصر فيما يتعلق بالارتباط بالله ويدفعه إلى التمسك به. ليس هناك من شك في أن الحق يكون مع ذلك الشخص الذي لم يفسده العلم.

لنأخذ مثلا شخصا يعيش في قلب الثقافة المسيحية، ويذهب إلى بيت الله الحقيقي، وتكون لديه معرفة حقيقية وتصور صائب بشأن الله، وهناك يمارس طقوسه العبادية، ولكن دون أن يكون عنده أي إخلاص في النية، ولنأخذ إلى جانبه مثلا شخصا آخر يعيش في بلد ملحد ولكنه يعبد الوثن بحماسة لا حد لها ولا حصر. فهل يكون الحق بشكل أكبر مع الشخص الأول أم مع الشخص الثاني؟ إن أحدهما يعبد الله مخلصا وإن كان سجوده للصنم، بينما الآخر يعبد الله الحقيقي نفاقا ورياءً، وبذلك لا يمكن أن يكون إلا وثنيا.

عندما يحقق الشخص بشأن مسألة الخلود تحقيقا آفاقيا، ويؤمن شخص آخر بالخلود بوصفه أمرا غير يقيني، ولكنه يتقبله بحماسة لا حد لها أو حصر. أين تكمن الحقيقة بشكل أكثر؟ وأي واحد منهما يمتلك يقينا أكبر؟ لقد وضع أحدهما خطواته على حلبة التكهن والظن الذي ليس له من حدود؛ لأن اليقين بالخلود يرتبط تماما بكون الفرد أنفسيا. والآخر خالد ولكنه يصارع عدم يقينه.

لنأخذ مثلا سقراط. فاليوم ينهمك كل شخص باللعب مع برهان من نوع خاص، وهناك من لديه العديد من البراهين، وهناك من لديه براهين أقل. وأما سقراط! فإنه قد طرح المسألة بطريقة آفاقية وبإسلوب افتراضي وشرطي: "إذا كن هناك خلود في البين". وبالمقارنة مع الفيلسوف الجديد الذي يسوق ثلاثة براهين لإثبات الخلود، هل يجب علينا اعتبار سقراط من أصحاب الشك؟ كلا أبدا. فقد خاطر بحياته كلها من أجل هذه الـ(إذا) الصغيرة، وذهب إلى مواجهة الموت بشجاعة، وأمضى حياته بحماسة لا حد لها أو حصر من أجل أن يثبت هذه الـ(إذا) الواقعة في سؤال: "إذا كن هناك خلود في البين". فهل يمكن العثور على برهان على إثبات الحياة بعد الموت خيرا من هذا البرهان؟ وأما أولئك

الذين يمتلكون تلك البراهين الثلاثة، فقد رسموا حياتهم بحيث لا يمكن أن تؤيد هذه النظرية. فإذا كان هنالك من خلود فإنه لا محالة سئم من نمط الحياة العديمة المذاق والتافهة لهؤلاء الفلاسفة. فهل يمكن الإتيان برد على هذه البراهين الثلاثة أقوى من هذا الرد؟ إن هذه الجزئيات غير اليقينية كانت نافعة لسقراط؛ لأنها كانت تعجل الوصول إلى النتائج، وتؤدي إلى الحماسة. إن البراهين الثلاثة التي يمتلكها الآخرون لا فائدة فيها أبدا، لأنها خالية من الروح، وإن نفس احتياج هؤلاء الفلاسفة إلى هذه البراهين الثلاثة يثبت أنهم فاقدون للروح. إن الجهل السقراطي الذي تشبث به سقراط بكل الحماسة الناشئة عن سيره الباطني، كان يعكس النظرية القائلة بأن الحقيقة السرمدية مرتبطة ومنتسبة إلى الفرد الوجودي. وما دام لهذا الفرد وجود، فإن تلك الحقيقة تحمل المفارقة، ومع هذا كله يمكن القول بأن الجهل السقراطي يشتمل على حقيقة أكبر من "الحقيقة الآفاقية" لدى الأنظمة الفلسفية التي تتلاعب بروح التاريخ، وتغفو في صدور المعلمين.

إن التأكيد الآفاقي يركز على الكلمة التي تقال؛ وأما التأكيد الأنفسي فيكون التركيز فيه على كيفية قول الكلمة. وإن هذا التمايز يكون معتبرا حتى في مورد معرفة الجمال، ويتضح في هذه المسألة أن ما يمكن أن يكون صادقا من وجهة نظر آفاقية، قد يغدو كاذبا على ألسنة بعض الناس. إن التمايز المذكور يتم تصويره من خلال القول بأن الفرق بين العصور الماضية وعصرنا الحاضر يكمن في أن العصور الماضية لم تكن تحتوي إلا على القليل ممن يعرف الحقيقة، في حين أن الجميع في العصر الحاضر يعرفها، إلا أن السير الباطني نحوها يتناسب مع حيازتها عكسيا. ومن وجهة نظر المعرفة الجمالية فإن هذا التناقض القائل بأن الحقيقة تنقلب على بعض الألسنة لتصبح من الأخطاء، يمكن فهمها على أحسن وجه من خلال الأساليب الفكاهية والمضحكة. وفي الدائرة الأخلاقية ـ الدينية يتم التأكيد على الكيفية أيضا. ولكن لا ينبغي اعتبار هذا الكلام ناظرا إلى علم الأدب وحركات الأصوات وطريقة بيانها وما إلى ذلك، بل ينبغي اعتبارها في سياق معنى ارتباط الفرد بالقضية وطريقة انتسابه إليها. ومن وجهة النظر الآفاقية فإن المسألة هي مجرد مسألة فحوى القضية، وأما من وجهة النظر الآفاقية فإن المسألة هي مسألة السلوك الباطني. وإن

هذه الكيفية الباطنية هي في أعلى مراتبها عبارة عن الحماسة التي لا حد لها ولا حصر، وإن الحماسة بلا حد أو حصر هي حقيقة بذاتها، وحيث أن الحماسة التي لا حد لها أو حصر أنفسية، تكون الأنفسية حقيقة. وأما من وجهة النظر الآفاقية فليس هناك التزام بلا حد أو حصر، ومن هنا يصح من الناحية الآفاقية أن نزيل الفرق بين الحسن والقبيح، وكذلك أصل عدم التناقض، والفرق بين الحقيقة والخطأ. وإن القرار والالتزام لا يكون إلا في النهج الأنفسي، بحيث يعتبر البحث عن هذه الأمور في دائرة النهج الآفاقي ضربا من الخطأ. وإن ذات الحماسة بلا حد أو حصر هي التي توجب القطع وليس متعلقها؛ لأن متعلقها هو ذاتها. وعليه فإن الأنفسية والكينونة الأنفسية حقيقة.

إلا أن هذه الكيفية ــ التي يتم التأكيد عليها من الناحية الأنفسية؛ لأن فاعل التعريف شخص وجودي ــ مشمولة لجدلية زمانية ــ وفي اللحظة الحماسية الحاسمة حيث يفترق طريق الفرد عن طريق المعرفة الآفاقية، يبدو أن الوقت قد حان لاتخاذ القرار اللانهائي. ولكن في تلك اللحظة يبصر الفرد الوجودي نفسه في إطار زمني، وإن الكيفية الأنفسية تتحول إلى جد وجهد، وهما جد وجهد دافعهما الحماسة التي ليس لها حد أو حصر، وفي هذه الحالة يتم تكرار تجربة الحماسة مرارا. ولكنها مع ذلك فإنها لا تعدو أن تكون مجرد جد وجهد. وحيث أن الأنفسية حقيقة ثابتة، يجب لتعريف الأنفسية أن يشتمل على تعبير دال على مقابلته للآفاقية، وأن يذكر بالانشعاب ومفترق الطرق، كما يجب على هذا التعبير أن يفيد حماسة السلوك الباطني أيضا. وفيما يلي تعريف للحقيقة على النحو الآتي: إن الحقيقة هي انعدام اليقين الآفاقي الذي نتشبث به بشدة في أكثر عمليات الحيازة والامتلاك للسلوك الباطني حماسة. وهي أسمى حقيقة يمتلكها الفرد الوجودي. وهناك يختلف طريقنا عن طريق المعرفة الآفاقية (وإن ما هو موجود لا يمكن الكشف عنه من خلال المنهج الآفاقي، وإنما يتم الكشف عنه من خلال المنهج الأنفسي فقط)، وفي تلك النقطة يتم حذف المعرفة الآفاقية. من الناحية الآفاقية لا يمتلك الفرد سوى عدم اليقين، ولكن هناك تماما يتم تشديد حماسة السير الباطني التي لا حد لها أو حصر، وإن الحقيقة هي- بوضوح- أمر الاختيار الخطير لعدم اليقين الآفاقي المقرون بحماسة السلوك الباطني.

عندما أنظر في الطبيعة وأدقق فيها لكي أكتشف الله، أكون في الحقيقة مكتشفا لقدرة الله وحكمته المطلقة، ولكنني أكتشف في الوقت نفسه الكثير من الأمور التي تثير الاضطراب في نفسي. ونتيجة ذلك كله تؤدي إلى انعدام اليقين الآفاقي، ولكن هناك تماما يبرز دور السلوك الباطني؛ لأن السلوك الباطني يدرك عدم اليقين الآفاقي مصحوبا بالحماسة التي ليس لها حد أو حصر. وفيما يتعلق بالموضوعات الرياضية يتم افتراض الآفاقية مسبقا، بيد أنه بسبب ماهية الرياضيات تكون هذه الحقيقة من الناحية الوجودية لا بشرط.

إن التعريف المتقدم للحقيقة هو في الوقت نفسه توصيف للإيمان أيضا. وليس هناك إيمان في البين دون خوض المجازفة[34]. إن الإيمان هو بكلمة دقيقة عبارة عن التقابل بين حماسة السلوك الباطني التي لا حد لها ولا حصر وبين انعدام اليقين الآفاقي. إنني إذا استطعت العثور على الله من خلال المنهج الآفاقي لن أكون معتقدا به؛ بل يجب علي الإيمان به بسبب عجزي عن التعرف إليه من خلال المنهج الآفاقي، وإذا أردت الحفاظ على إيماني وجب علي الإصرار في التشبث بانعدام يقيني الآفاقي، وكأنه يجب علي أن أقف على سطح أعمق المحيطات، وأن أقف معلقا على بحر لا قعر له، ومع ذلك أكون معتقدا.

إننا في عبارة "أنفسية السلوك الباطني حقيقة" نشاهد خلاصة حكمة سقراط الذي تكمن خدمته الخالدة في اكتشافه للمعنى الذاتي للوجودية، وهي أن صاحب المعرفة فاعل للمعرفة الوجودية، ومن هنا كان سقراط على الرغم من جهله يتمتع بأسمى أنواع الارتباط بالحقيقة في عالم الشرك. وهذه حقيقة تجاهلتها الفلسفة النظرية ــ للأسف الشديد ــ مرارا: إن صاحب المعرفة فاعل للمعرفة الوجودية. وفي عصرنا الآفاقي ــ لمدة مديدة بعد عصر نبوغ سقراط ــ يعد إدراك هذا الأمر في غاية الصعوبة والتعقيد.

وحيث أن أنفسية السير الباطني هي الحقيقة، فإن الحقيقة من الناحية الآفاقية تتجلى

34 - risk.

على شكل مفارقة، وتتضح مفارقة الحقيقة من جهة أن الأنفسية حقيقة، لأنها تدفع الآفاقية، وإن شدة وسعة السلوك الباطني تعكس الدفع الآفاقي. إن المفارقة هي انعدام اليقين الآفاقي، الذي يعكس حماسة السلوك الباطني الذي هو حقيقة بكل ما للكلمة من معنى. وهذا هو الأصل السقراطي: إن الحقيقة السرمدية والذاتية، أي الحقيقة التي ترتبط من الناحية الذاتية بالفرد؛ لأنها تتعاطى مع وجوديته "من وجهة نظر سقراط فإن جميع المعارف الأخرى عرضية، وليس لمرتبتها وسعتها أي أهمية"، ليست سوى مفارقة. وعلى الرغم من ذلك فإن الحقيقة السرمدية ليست في ذاتها وفي نفسها مفارقة. إن الجهل السقراطي يعكس هذا الشك الآفاقي، وإن السلوك الباطني لفاعل المعرفة الوجودي هو الحقيقة. ولكي أكون قد قلت ما سأعمد فيما بعد الى شرحه وتفصيله، يجب القول بأن الجهل السقراطي مثل مقولة "الأمر المنافي للعقل"[35]، مع فارق أنه فيما يتعلق بالأمر المنافي للعقل، يكون اليقين الآفاقي شحيحا أيضا، ولذلك تكون الحماسة التي لا نهاية لها في سلوكه الباطني أكثر. إن السلوك الباطني السقراطي الذي يرتبط بالوجودية مثل الإيمان، باستثناء أن هذا السلوك الباطني لا يدفعه الجهل بل الأمر المنافي للعقل، الذي هو أعمق إلى ما لا نهاية. ومن وجهة نظر سقراط فإن الحقيقة السرمدية والذاتية لا تحتوي في نفسها على مفارقة أبدا، وإنما تغدو مفارقة بسبب انتسابها إلى الفرد الوجودي.

إن أنفسية السلوك الباطني هو الحقيقة. فهل هناك بيان أكثر باطنية من ذلك لهذه المسألة؟ أجل. فإننا إذا اعتبرنا الأنفسية حقيقة أمكن لنا افتراض الأصل المقابل لها، وهو أن الأنفسية غير حقيقية[36] وخاطئة[37]. ومن وجهة نظر سقراط فإن الأنفسية إذا لم تدرك أنها حقيقة وأرادت فهم ذاتها من خلال المنهج الآفاقي ستكون غير حقيقية. وأما الآن فنحن نفترض أن الأنفسية إذا أرادت أن تغدو حقيقة وجب أن تتغلب على مشكلة تضاهي المشكلة الموجودة في عدم الحقيقة. إذن يتعين علينا الرجوع إلى الوراء، نحو السلوك

35 - the absurd.

36 - untruth.

37 - error.

الباطني. ومن وجهة نظر سقراط فإن طريق الرجوع إلى الحقيقة هو الاستذكار، من خلال الإذعان بأننا نحمل ذكريات عن تلك الحقيقة الراسخة في باطننا.

إذا دعونا عدم الحقيقة هذه بالخطيئة[38]؛ فإن الفرد لا يمكنه أن يكون في حالة الخطيئة منذ الأزل، ولا يمكننا أن نفترض أنه كان في حالة خطيئة منذ الأزل. إذن يجب أن يكون قد أصبح مخطئا بعد الصيرورة والوجودية "لأن نقطة البداية هي أن الأنفسية لا حقيقة لها". إن الفرد لم يولد مذنبا، بمعنى أنه لم يكن قبل أن يأتي لهذه الدنيا مذنبا، بل جاء إلى الدنيا في حالة المعصية والخطيئة. وهذا ما نسميه بـ "الخطيئة الأولى". وأما إذا امتلك وجودي مثل هذه القدرة، فإنه لا يستطيع العودة إلى الأزل من خلال الاستعانة بذاكرته "بالنظر إلى ما قاله أفلاطون في نظرية المثل من أننا نستطيع أن ندرك أن هناك حقيقة من خلال استذكار كشف الحقيقة". وإذا كان هناك تناقض في السابق في انتساب وارتباط الحقيقة السرمدية بالفرد الوجودي، فاليوم يشتد هذا التناقض على نحو أكبر. بيد أنه كلما كان الابتعاد عن الوجودية بالنسبة له من خلال الذاكرة أكثر تعقيدا، وجب على السلوك الباطني أن يرفع من مستوى حماسته، وعندما يستحيل ذلك عليه، ويخلد في وجوديته، عندها يستغلق عليه باب الاستذكار إلى الأبد بتأثير من الخطيئة، وعندها سيكون سلوكه الباطني من أعمق أنواع السلوك.

الأنفسية حقيقة ثابتة:

من خلال هذا الارتباط بين الحقيقة السرمدية والفرد الوجودي تظهر المفارقة. والآن لنتقدم أكثر ولنفترض بأن الحقيقة السرمدية عبارة عن مفارقة ذاتية. فكيف تحصل هذه المفارقة؟ من طريق ضم الحقيقة السرمدية والذاتية إلى الوجودية الزمانية. فعندما نضم هاتين المسألتين في إطار نفس الحقيقة، تصبح الحقيقة مفارقة. وتكون الحقيقة السرمدية الفاقدة للزمان داخلة في الدائرة الزمنية؛ وهذه مفارقة. فإذا كانت الخطيئة تحول دون تمكن الفاعل للتعريف من النظر إلى باطنه والعودة إلى الأزل بواسطة الاستذكار، فعليه أن

38 - sin.

لا يوقع نفسه في المشقة من جراء ذلك؛ لأن الحقيقة السرمدية الذاتية في اللحظة الراهنة حيث أنها وجودية أو كائنة، فلن تكون بعد ذلك وراءه، وإنما هي ماثلة أمامه، بحيث أن الفرد إذا لم يتمكن من الحصول على الحقيقة أثناء الوجودية، فإنه لن يتمكن من الحصول عليها بعد ذلك أبدا.

لا يمكن التأكيد على الوجودية أكثر من ذلك. عندما ترتبط الحقيقة السرمدية بالفرد الوجودي وتنتسب إليه، تصبح الحقيقة مفارقة. وإن هذه المفارقة تدعو الفرد ــ بسبب عدم اليقين والجهل الآفاقي ــ إلى السلوك الباطني. ولكن حيث أن هذه المفارقة لا تحمل تناقضا في نفسها، لا تعمل على سحب الروح إلى حيث ما ينبغي أو يجب. وذلك لأنه لا يمكن أن يكون هناك إيمان دون القبول بخوض المجازفة وركوب الخطر، وكلما كان ركوب المخاطر أكثر، كان الإيمان أقوى وأشد، وكلما كان الاعتبار الآفاقي أكثر، كان السلوك الباطني في المستوى الأدنى "وذلك لأن السلوك الباطني هو الأنفسية ذاتها". وفي الحقيقة كلما كان اعتبار الآفاقية أدنى وأقل، كان السلوك الباطني مقدورا وميسورا وأكثر عمقا. وعندما تكون المفارقة متناقضة في نفسها، تعمد إلى دفع الفرد بقوة الأمر غير المعقول، وتكون الحماسة المتناظرة معها .والتي توجد في هذا المسار ــ هي الإيمان ــ وأما الأنفسية والسلوك الباطني فهو حقيقة، وإلا وجب علينا أن ننسى الخدمة التي قدمها سقراط؛ إلا أن السلوك الباطني لن يبدو محالا على نحو أفضل منه عند النكوص عن الوجودية والتراجع نحو الانعدام الزمني والأزلي، من خلال الاستذكار. وعندما يواجه الفرد الواقع في قبضة الألم والقلق الناشئ من الخطيئة ـ ولكنه يعي المجازفة الكبيرة الملازمة للإيمان .ـ حقيقة المفارقة، وعندما يبادر هذا الفرد ــ على الرغم من ذلك ــ إلى الوثبة الإيمانية، يكون هذا الأمر هو ذروة الأنفسية.

عندما اعتقد سقراط بوجود الله، تشبث في سلوكه الباطني الحماسي بعدم يقين آفاقي شديد، وفي هذا التناقض وهذه المجازفة، وجد الإيمان. أما الآن فالوضع مختلف؛ فبدلا من انعدام اليقين الآفاقي، هناك يقين آفاقي بشأن الأمر العيني والخارجي. يقين بأن ذلك الأمر غير معقول، ومع ذلك فإن الإيمان هو الذي يتشبث بذلك الأمر العيني والخارجي

بشدة في سلوكه الباطني الحماسي. وبالمقارنة إلى جدية الأمر اللامعقول، لا يعدو جهل سقراط أن يكون مجرد مزحة، وبالمقارنة إلى الإصرار على الإيمان وإبرامه في الاعتقاد بالمفارقة، نجد السلوك الباطني الوجودي السقراطي يساوق الحياة اليونانية المؤثرة للعافية.

ما هو الأمر غير المعقول؟ إن الأمر غير المعقول هو أن تدخل الحقيقة السرمدية والخالية من الزمان في دائرة الزمن، وأن يدخل الله في حيز الوجود، وأن يدخل في عالم الدنيا، وأن يغدو كبيرا وما إلى ذلك، وأن يغدو تماما كأي إنسان آخر، وأن لا يغدو بالإمكان تمييزه من سائر أفراد البشر[39]. إن الأمر اللامعقول بتوسط دافعته الآفاقية، يكون معيارا لسلوك الإيمان الباطني. لنفترض شخصا يريد أن يغدو مؤمنا. من هنا تبدأ الكوميديا. إنه يروم الحصول على الإيمان بمساعدة التحقيقات الآفاقية ونتائج ومعطيات التقريب والتخمين من خلال البحوث المستندة إلى الوثائق. فما الذي يحصل؟ بفعل زيادة الوثائق يتحول الأمر اللامعقول إلى شيء آخر، ويغدو محتملا، ومن ثم يغدو محتملا على نحو أشد، وربما أصبح محتملا على نحو أشد وأقوى. وحيث توفرت الوثائق المعتبرة لصالح متعلق إيمان هذا الإنسان، فإنه يغدو على استعداد للاعتقاد بالأمر المنشود، وهو فخور بنفسه لأن إيمانه ليس مثل إيمان الإسكافيين أو الخياطين والبسطاء من الناس، وإنما حصل عليه بعد تحقيق تفصيلي طويل ومعمق. والآن يعد نفسه ليؤمن بذلك الأمر. إن القضية المحتملة تقريبا، والمحتملة منطقيا، والمحتملة إلى حد قوي جدا، هي شيء معلوم تقريبا، ومعلوم على المستوى العملي، ومعلوم إلى حد كبير جدا، ولكنها ليست متعلق الاعتقاد من طريق الإيمان؛ لأن الأمر اللامعقول هو متعلق الإيمان، وإن التوجه القاطع الذي يمكن لنا أن نكونه بالنسبة إليه هو الإيمان، وليس العلم.

تدعي المسيحية أن الأمر السرمدي الذي دخل في دائرة الزمن وأطلق على نفسه تسمية المفارقة، واقتضى السلوك الإيماني الباطني، هو ما يكون بالنسبة إلى اليهود فضيحة، وبالنسبة إلى الإغريق حماقة، وللذهن البشري أمرا غير معقول. وإن هذا الموضوع

39 – إشارة إلى عقيدة النصارى بشأن السيد المسيح عيسى بن مريم.

لا يمكن التعبير عنه بشدة وحدة أكثر من التعبير القائل: إن الأنفسية حقيقة ثابتة، وإنها تدفع الآفاقية بفضل الأمر غير المعقول.

إن الأنفسية تؤدي إلى الحماسة. وإن المسيحية مفارقة، والمفارقة والحماسة تتناسبان مع بعضهما البعض، وإن المفارقة تليق بالشخص الواقع في أعلى درجات الوجودية بشكل كامل. وفي الحقيقة لم يتم العثور في أي بقعة من العالم على عاشق ومعشوق يناسبان بعضهما البعض أكثر من تناسب الحماسة والمفارقة، وإن التنازع بينهما تنازع منبثق من واقع العشق والمحبة، وهناك بحث في هذا المجال بشأن أيهما هو الذي أثار حماسة الآخر. وهكذا الأمر هنا أيضا. فإن الفرد الوجودي قد نال بفضل المفارقة أعلى درجات الوجودية. ومن زاوية العاشق والمعشوق هل هناك ما هو أكثر إثارة للانبهار من إيماننا بأنهما قد أمضيا مدة مديدة مع بعضهما دون أن تتأثر علاقتهما بأي سوء، سوى ذلك الأمر الذي أضفى على علاقتهما مزيدا من الحماسة الباطنية؟ وهذا هو الشيء الذي يمكن القبول به في باب حسن التفاهم بين الحماسة وبين المفارقة؛ وذلك لأن هذين الاثنين منسجمان مع بعضهما البعض في دائرة الزمن، وللمرة الأولى يتقبلان التغير في دائرة الخلو من الزمن والخلود. إلا أن الفيلسوف النظري يرى الأمور بأجمعها بشكل وصيغة أخرى. فهو معتقد، ولكن إلى حد خاص فقط. وهو يباشر النشاط، ولكنه نشاط فوري يروم من خلاله البحث عن شيء من أجل التعرف عليه، ويدور عينيه باتجاه ما يحيط به. من وجهة النظر المسيحية يصعب فهم هذا المعنى، وأنه كيف يمكن لمثل هذا الشخص أن ينال الخير الأسمى من خلال التوسل بهذا الأسلوب.